رؤية العالم في مقامات الحريري
دراسة في ضوء البنيوية التوليدية
الأحوال الدينية نموذجا

د. عصام محمود أحمد

أستاذ النقد الأدبي كلية الآداب جامعة حلون

الباحثة

منى عمرو أحمد محمد جنيدي

ملخص البحث:

يدرس البحث فنًا خاصًا من الفنون العربية القديمة هو فن المقامة، ولكن منظور الدراسات الحديثة (البنيوية التوليدية)، والمقامة هي نوع من الأقاصيص التي ظهرت في القرن الرابع، علامة على تطور الأدب بصورة عامة والنثر بصفة خاصة، وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية، أو فلسفية، أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون. يُعْنَى هذا البحث بالتوجه الديني في مقامات الحريري وكيف رأى الحريري العالم من خلال منظوره، الذي يعتمد بصورة كبيرة على القرآن الكريم من خلال الاستعانة المباشرة به في توظيف واضح للآيات القرآنية في مقاماته ويوجه من خلالها النصح للقراء للالتزام بالتعاليم الدينية.

الكلمات المفتاحية: المقامات الحريري، البنيوية التوليدية، لوسيان جولدمان، توظيف التراث الديني، النصح الديني.

Research Summary :

This research studies a special art of ancient Arab arts, the art of maqama, but the perspective of modern studies (generative structuralism) Maqama is a type of story that appeared in the fourth century, a sign of the development of literature in general and prose in particular, which are short stories that the writer deposits with whatever literary idea, philosophical or dangerous sentimental idea he wants, or a glimpse of humor and madness.This section is concerned with the religious orientation in the shrines of Hariri and how silk sees the world through its perspective, which depends heavily on the Holy Qur'an through the direct use of it in a clear employment of Quranic verses in its shrines and through which advice to readers to adhere to religious teachings.

المقدمة

المقامة هي نوع من الأقاصيص التي ظهرت في القرن الرابع، علامة على تطور الأدب بصورة عامة والنثر بصفة خاصة، وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية، أو فلسفية، أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون.

تعد المقامات فنًا عربيًا راقيًا لمجتمعه، وقد شغلت الدارسين كثيرًا بأساليبها وموضوعها وشكلها الفني الذي حير الدارسين في تصنيفه. فما بين البداية وحين اخترعها الهمذاني كان يقصد بها تمايزًا أدبيًا عن شعراء عصره وكتَّابه النثريين فجمع فيها كل خصائص التعبير الأدبي، سنجد فيها الشعرية والسردية والحكاية، كما تجد فيها خصائص الرسائل الفنية، وتحمل خصائص السير الشعبية، ومنافسات الكتاب حول الأسلوب الأدبي، وصدى معركة البديع التي ظهرت في الشعر في العصر العباسي نتيجة بديع مسلم بن الوليد وأبي نواس وغيرهم من الشعراء الذين اخترعوا هذا الفن.

ولذلك كثرت الدراسات حولها وتركزت معظم الدراسات على مقامات بديع الزمان الهمذاني ومقامات الحريري وبعضها تطرق إلى منامات الوهراني، إلا أنها دراسات قليلة أو تكاد تكون نادرة، وتطرقت أيضًا إلى أسلوبها الأدبي، لكن ظل التركيز على الخصائص الشكلية لنص المقامة ولم يتطرق إلى الدلالات الأبعد من ذلك.

مع أنه في الواقع كل هذه النصوص تحمل رؤى أصحابها في واقع يعيشونه، فتركيز الهمذاني كان على الكدية صراحة واعتراض على تكريم الناس والعلماء والأدباء للمترسلين واستخدامهم وزراء ومنحهم مناصب سياسية وإهمالهم للشعراء إلا من فرض نفسه.

ومن هنا لابد أن يلتفت إلى فكرة رؤية العالم عند لوسيان جولد مان التي غيرت كثيرًا من أسس النقد الواقعي وأفكاره.

ما هي رؤية العالم؟ ببساطة شديدة هي رؤية الأديب للواقع من حوله وليس بالضرورة أن يعبر الأديب صراحة وإلا فقد الأدب خصائصه الإبداعية والجمالية. والأديب ليس بالضرورة أن يكون في نصه أنا أرى كذا أو أرى كذا، ولكنه يستخدم بنى

لغوية أو أسلوبية أو جمالية يطرح فيها رؤيته لذلك ركز كل من لوسيان جولد مان والدكتور جابر عصفور في مقاليهما المتلاصقين في المجلد الثاني من مجلة فصول على فكرة الفن والشرح والتفسير.

وقد حظيت المقامات بكم كبير من الشروحات والتعليقات، أحصى منها صاحب كشف الظنون حاجي خليفة أكثر من خمسة وثلاثين شرحًا، ويعود كثرة الشروحات إلى ما زخرت به المقامات من الألفاظ، والأمثال، والأحاجي والألغاز والنكت النحوية والبلاغية، مما جعلها ميدانًا رحبًا للشرح والتفسير والاستطراد.

يمثل التوجه الديني ملمحًا مهمًا في رؤية الْحَرِيْرِي في مقاماته؛ ومن ثم فنلمس وجودًا واضحًا للقرآن الكريم والشريعة الإسلامية والأحوال الدينية بشكل واضح، فله الأثر الواضح البالغ القوي في أنماط الحياة المختلفة ومساعي الإنسان في كافة نواحي الأرض، وأيضا لما للقرآن الكريم من أثر واضح في الحياة في الجانب الأدبي واللغوي في معالم الحياة، وبخاصة أن الأدب العربي يتميز باللغة العربية لغة القرآن الكريم.

وكانت مقامات الْحَرِيْرِي من ضمن هذه العلوم الأدبية التي تأثرت بالقرآن الكريم والأحوال الدينية بشكل خاص، حيث كان للمقامات بصمة أدبية رائعة وشهرة كبيرة بين الأدباء خاصة وكذلك بين عامة الناس.

كان تجلي القرآن الكريم واضحًا في مقامات الْحَرِيْرِي من خلال الاقتباسات القرآنية التي كانت ترد في مواضع كثيرة، فمنها ما يرد بشكل مباشر ومنها ما يرد بشكل تعبيري يفهم من السياق.

فمن النصوص القرآنية التي أوردها الْحَرِيْرِي في مقاماته ما يلي:

ما ورد في الْمَقَامَة الحادية عشر الْمَقَامَة الساوية يقول الْحَرِيْرِي:

(حدث الحارث بن همام: طالَما أسِيتُمْ على انْثِلامِ الحَبّةِ. وتناسَيتُمُ اخْتِرامَ الأحبّةِ. واستَكَنْتُمْ لاعتِراضِ العُسرةِ. واستَهَنْتُمْ بانقِراضِ الأُسرَةِ. وضحِكْتُمْ عندَ الدّفْنِ. ولا ضحِكَكُمْ ساعةَ الزَّفْنِ . وتبخْتَرْتُمْ خلفَ الجنائزِ. ولا تبخْتُرَكُمْ يومَ قبْضِ الجوائزِ. وأعْرَضْتُمْ عنْ تعْديدِ النّوادِبِ. الى إعْدادِ المآدِبِ. وعنْ تحرُّقِ الثّواكِلِ. الى التّأنُّقِ في

المآكِلِ. لا تُبالونَ بمَنْ هوَ بالٍ. ولا تُخْطِرونَ ذِكرَ الموتِ ببالٍ. حتى كأنّكُمْ قد علِقتُمْ منَ الحِمامِ. بذِمامٍ. أو حصَلْتُمْ منَ الزّمانِ. على أمانٍ. أو وثِقْتُمْ بسلامةِ الذّاتِ. أو تحقّقْتُمْ مُسالَمَة هادِمِ اللّذّاتِ. كَلاّ ساء ما تتوهّمونَ. ثمّ كلاّ سوفَ تعلَمونَ!).

وتظهر رؤيته الواضحة للعالم في الْمَقَامَة فهناك توجه أخلاقي برز فيه الحض على مكارم الأخلاق؛ فالحزن يسيطر على الناس خوفا على الدنيا ونعيمها الزائل ، وعدم التأثر بضياع مكارم الأخلاق من قطع رابط الصداقة وتفكك الأسرة ، وموت المشاعر وتبلدها عند حضور الموت، وساعة الدفن بما يعني موت القلب ، وغياب الوعي فتشابه الموت مع الرقص ، لتكون المغلاة والتباهي في الجنائز مشابهة للاحتفالات ، وابتعدتم عن مواطن المصائب الموعظة واهتممتم بالمآدب والأكل والاحتفالات ، وابتعدتم عن الجنائز فلا يخطر لك الموت على بالكم ، لتكون نهاية الْمَقَامَة آية متداخلة في نسيج النص في قوله تعالى كلا ستعلمون ثم كلا ستعلمون ، وكأني به قد حذف باقي النص القرآني يتركه للقارئ الذي حتما يعلم أوله {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُر} {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر}[التكاثر:1- 2] ، ليأتي بآخره وفي هذا تحذير واضح مصداقا لتفسير ابن عباس الذي شرح الآية: {كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون}،{ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون} . بقوله: إنكم ستعلمون عند نزولكم القبر . فهذا التناقض في الحياة هو جوهرها فيكمن جوهر الغرابة في الحياة، وفي الفن وفي الأدب في تلك العلاقة التي توجد بين الموت والحياة، وكذلك في آلية التكرار، في انتفاء الألفة وغياب الشعور بالأمن، وحضور الخوف في الحياة... والأكثر غرابة من هذه الغرابة نفسها أن تتحول الأشياء التي كان ينبغي النظر على أنها غريبة إلى أشياء عادية ومألوفة ".

وتتجلى المفارقة في النص عندما يقرن الموت والحياة بصورة يبدو منها حزنه على الحال الذي وصل إليه المجتمع الإسلامي في عصره ، وفيها درجة من درجات السخرية من الواقع ، فهنا يتجلى الشيء بالضد "ومن جانب آخر تمثل المفارقة موقفًا من التراث الحضاري حين تتجه إلى إعادة تقيم التراث الفني الموروث من خلال إعادة صياغته وتشكيله وتفسيره وتحويله، وقد نقول في النهاية إن المفارقة هي استراتيجية الإحباط أو اللامبالاة وخيبة الأمل، ولكنها – في الوقت نفسه – تنطوي على جانب إيجابي؛ فقد

تنظر إليها على أنها سلاح هجومي فعال، وهذا السلاح هو الضحك ، ولكنه ليس الضحك الذي يتولد عن الكوميديا، بل الضحك الذي لابد أن ينفجر ".

وهنا يظهر جليًا الاقتباس من القرآن الكريم في الْمَقَامَة، وتم توظيفه في نهاية الْمَقَامَة ليكون خاتمة قوية لفكرته؛ فيقوم النص القرآني هنا بدور رئيس في الخطاب من خلال تبنيه للفكرة التي يريد الكاتب التعبير عنها، وهي نقض الواقع وليس المراد نقده، والتذكير بأحوال الآخرة ، فالاعتماد على النص القرآني هنا يمثل سلطة دينية ذات تأثير قوي في المتلقي؛ لأنها سلطة لها قوتها "وهنا يدخل النص القرآني في السرد بصورة واضحة من خلال ذكر الآية فبعد سرد الحكاية يلجأ إلى المباشرة في النصح لتوضيح الفكرة بصورة واضحة لا يحتمل معها اللبس، وذلك بذكر الغرض وهنا يخرج من الفنية إلى المباشرة الخطابية التي تؤثر بلا شك في جمال العمل الفني ثم يتلو ذلك بالتأكيد على تلك الفكرة من خلال الاستعانة بنص قرآني"i .

يلاحظ أن تجلي الأسلوب القرآني هو المنهج المتبع عند الحريري في مقاماته فهو يقول في الْمَقَامَة الأولى الْمَقَامَة الصنعانية (حدث الحارث بن همام: وتُغلِّبُ حُب ّثوبٍ تشْتَهيهِ، على ثواب ٍتشْتَريهِ، يواقيت الصِّلاة، أعْلَقُ بقَلبِكَ منْ مَواقيت ِالصّلاةِ . ومُغالاةُ الصَّدُقاتِ، آثَر ُعندَكَ من مُوالاةِ الصَّدَقاتِ، وصِحاف ُالألْوان، أشْهى إلَيْكَ منْ صَحائِف ِالأدْيانِ، ودُعابَةُ الأقرانِ، آنَسُ لكَ منْ تِلاوَةِ القُرْآنِ !تأمُرُ بالعُرْف ِوتَنتَهِكُ حِماهُ، وتَحْمي عنِ النُّكْرِ ولا تَنتحاماهُ !وتُزحزِحُ عنِ الظُّلْمِ ثمْ تغْشاهُ . وتخْشَى الناسَ واللهُ أحقُّ أنْ تخْشاهُ!)، ثمّ أنْشَدَ:

تباً لطالِـب ِدُنْـيا *** تَنى إلَيها انصِبابَهْ
ما يسْتَفيقُ غَراماً *** بها وفَرْطَ صَبابَهْ
ولوْ دَرى لَكفَـاهُ *** مما يَرومُ صُبابَهْii

فقد تجلى النص القرآني في المقامة بصورة واضحة في ختام الآية من خلال اقتباس الآية وتضمينها النص مباشرة؛ فقد ختم الحريري المقامة بقول الله تعالى {... وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ...} [الأحزاب:37]، وهو تحذير واضح ودعوة على الخوف

من الله وحده. فيقوم النص القرآني هنا بدور رئيس في الخطاب من خلال تبنيه للفكرة التي يريد الكاتب التعبير عنها وهي تحذير المتلقي/الحكام عاقبة الظلم وإهمال الرعية، فالاعتماد على النص القرآني هنا يمثل سلطة دينية ذات تأثير قوي في المتلقي؛ لأنها سلطة "تستمد تأثيرها وقوتها من سلطة عليا هي السلطة الإلهية، ومن ثم فإنها لا تكون محل شك أو دحض، وإنما يذعن لها المخاطب إذعانًا شديدًا، انطلاقًا من فكرة الاسترضاء الإلهي" iii.

ولا شك أن القرآن الكريم هو المنبع الرئيس والمعلم الأول عند الكتاب العرب؛ فهو المصدر الأول الذي يستقون منه الفكرة واللفظة واللغة والبلاغة، لما يحمله من فصاحة وبلاغة وما يقدمه من أمثال وحكم وقصص "وقد كان وما زال معينًا ثريًا للفصاحة والبلاغة والبيان، وموردًا عذبًا يستفرده الشعراء والرواة في كل زمان ومكان ويستفيدون منه لإغناء إبداعاتهم وإضفاء الجمال الفني عليها، ولم يكن القرآن الكريم مقصورًا على زمن دون زمان، أو مكان دون مكان، بل إنه دستور الله الخالد للبشرية جمعاء، وهو صانع التراث ومصدره الأكبر "iv.

لذلك كان الاعتماد على آيات القرآن الكريم وتوظيفها في النصوص الأدبية من سمات الأديب البليغ ، وهو أمر، له أثر عظيم في بناء النص، ومن ثم فلا يخلو كتاب في فنون العربية من نصوصه بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد اتفق على ذلك الكتاب فهو المنبع الأول الذي وجه إليه المؤدبون طلابهم للنهل منه، وكان المؤديون يوجهون الطلاب نحو الاستعانة بالنصوص القرآنية في نصوصهم، وقد عد ابن الأثير توظيف آيات القرآن الكريم والاستعانة بها من أركان الكتابة فقال: "الركن الخامس: أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن والأخبار النبوية، فإنها معدن الفصاحة والبلاغة، وإيراد ذلك على الوجه الذي أشرت إليه في الفصل الذي يلي هذا الفصل من حل معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية أحسن من إيراده على وجه التضمين "v. فعمد الأدباء والمثقفون إلى توظيف آيات من القرآن الكريم توظيفًا مباشرًا أو غير مباشر لعرض أفكارهم.

لذلك كان توظيف الحريري للآيات القرآنية هنا دلالة واضحة على توجه ديني لا تخطئه العين؛ حيث تجلى الاتجاه الديني واضحًا في النص من خلال عدة نقاط؛ كانت

واضحة على النحو التالي: التركيز على الصلاة وأهميتها والإلحاح عليها، ثم ربط ذلك بالصدقات، وفي هذا تأثر واضح بالقرآن الكريم الذي ربط بين الصلاة والزكاة فالعمل الصالح علامة على الإيمان والصلاة أولًا، والأعمال الصالحة التي يجب الحرص عليها ، ثم الزكاة عبادة مالية، ومن معاني الزكاة الصدقة كما ورد في القرآن الكريم، لتكون الصدقة علامة على قوة الإيمان، ثم حث على تلاوة القرآن الكريم والمداومة عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنهي عن الظلم؛ وهو تلخيص للكثير من الآيات القرآنية التي أمرت بهذه الأفعال، وجاء كل ذلك في صيغة تحذيرية ناهية عن اقتراف مثل هذه الأفعال المخالفة للدين. ليكون الختام هو ذروة المقامة وهدفها الواضح في قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ)vi.

وقد جاء الحديث في الْمَقَامَة بصيغة تقريرية للتأكيد على حدوث الواقع الذي يحكيه بالفعل في صورة مقارنة بين الواقع المؤلم وما يجب عليهم من الحال؛ ليضعهم أمام حقيقة واجبة.

وقد يكون التوجه القرآني متضمنًا يفهم من السياق لكنه ليس جليًا كما ظهر في المثالين السابقين ومن ذلك ما قاله الْحَرِيْري فِيْ مَقَامَتِه الثالثة عشر الْمَقَامَة البغدادية :قال الحارثُ بنُ هَمّامٍ: فلمّا ظهرْتُ على جليّةِ أمرِهِ .وبَديعَةِ أمْرِهِ . وما زخْرَفَ في شِعرِه منْ عُذرِهِ . علِمْتُ أن ّشيطانَه ُالمَريدَ .لا يسمَعُ التّفْنيدَ .ولا يفعَلُ إلا ما يُريدُ .فتَنَيْت ُإلى أصحابي عِناني .وأبَثَثْتُهُمْ ما أثبتَهُ عِياني .فوجَموا لضَيْعَةِ الجوائِزِ .وتعاهَدوا على محرَمَةِ العَجائِزvii. فهنا يبين لنا أن شيطانه مريد عنيد ويفعل فقط ما يريد وما يخطر على باله وظهر الاقتباس هنا من قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيد}viii. وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد}ix.هو شخص عنيد مطيع لشيطانه المريد ولا يتقبل النصيحة، ويسير وفق هواه، لتظهر الأزمة المجتمعية المتمثلة في فورة الشباب ورغبتهم في الاستقلالية ورفضهم النص.

وهنا يتجلى توظيف النص القرآني عند الحريري، فيعتمد على توظيف النص القرآني بصورة غير مباشرة لكنها جلية فيكون النص متضمنًا ألفاظًا من القرآن الكريم دون النص الصريح، فتبدو لغته قرآنية وهي طريقة معظم كتاب تلك المرحلة الذين تربوا

على لغة القرآن ونشأوا على حل المنظوم، وتوظيف القرآن الكريم في شعرهم ذلك، يقول ابن الأثير "حل آيات القرآن العزيز فليس كنثر المعاني الشعرية، لأن ألفاظه ينبغي أن يحافظ عليها ،لمكان فصاحتها، إلا أنه لا ينبغي أن يؤخذ لفظ الآية بجملته، فإن ذلك من باب التضمين ،وإنما يؤخذ بعضه، فإما أن يجعل أولًا لكلام أو آخر، علي حسب ما يقتضيه موضعه "x ، وهذا الأسلوب يبرز من خلاله الحريري ثقافته الدينية ولغته القرآنية؛ ليجعل نصه مميزًا بديعًا لأنه محلى بالقرآن الكريم.

وقد يأتي النص القرآني بصورة شعرية غير مباشرة كما يقول الْحَرِيْري فِيْ مَقَامَتِه السابعة والثلاثون الْمَقَامَة الصعدية:

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: (فبَينَما القاضي جالِسٌ للإسْجالِ. في يومِ المحْفِلِ والاحتِفالِ. إذ دخَلَ شيخٌ بالي الرّياشِ. بادِي الارتِعاشِ. فتبصّرَ الحفْلَ تبصُّرَ نقّادٍ. ثم زعَمَ أنّ لهُ خصْماً غيرَ مُنقادٍ. فلمْ يكُنْ إلا كضَوْء شَرارَةٍ. أو وحْيِ إشارة. حتى أُحضِرَ غُلامٌ. كأنّهُ ضِرْغامٌ. فقال الشيخُ: أيّدَ اللهُ القاضيَ. وعصَمَهُ منَ التّغاضي. إنّ ابْني هذا كالقَلَمِ الرّديّ. والسيفِ الصّدِيّ. يجهَلُ أوْصافَ الإنصافِ. ويرْضَعُ أخلافَ الخِلافِ. إنْ أقدَمتُ أحجَمَ. وإذا أعرَبْتُ أعجَمَ. وإنْ أذْكَيْتُ أخْمَدَ. ومتى شوَيتُ رمّدَ. معَ أنّي كفَلْتُهُ مُذْ دَبّ. إلى أن شبّ. وكنتُ لهُ ألْطَفَ مَنْ ربّى ورَبَّ. فأكْبَرَ القاضي ما شَكا إليْهِ. وأطْرَفَ بهِ منْ حَوالَيْهِ. ثمّ قال: أشْهَدُ أنّ العُقوقَ أحدُ الثُّكْلَين. ولَرُبّ عُقْمٍ أقَرُّ للعَينِ..... فعبَسَ الشيخُ واكفهَرّ. وانْدرَأ على ابنِهِ وهرّ. وقال لهُ: صَهْ يا عُقَقُ. ثمّ كأنّهُ ندِمَ على ما فرَطَ منْ فيهِ. وحدَتْهُ المِقَةُ على تَلافِيهِ. فرَنا إلَيْهِ بعينِ عاطِفٍ. وخفضَ لهُ جناحَ مُلاطِفٍ. وقال لهُ: ويْكَ يا بُنيّ إنّ مَنْ أُمِرَ بالقَناعَةِ. وزُجِرَ عنِ الضّراعَةِ. هُمْ أرْبابُ البِضاعَةِ). وأنشد الشيخ قائلًا:

واستَنزِلِ الرّيَّ من دَرّ السّحابِ فإنْ * بُلّتْ يَداكَ بهِ فليَهنِكَ الظّفَرُ**
وإنْ رُدِدتَ فما في الرّدّ مَنقَصَةٌ * عليكَ قد رُدّ موسى قبلُ والخَضِرُxi**

يمثل النص رؤية الحريري للمشكلة التقليدية بين الآباء والأبناء، والخلاف الطبيعي بين الفريقين فلكل سن أفكاره وآرائه وعقليته، وهي رؤية مجتمعية مبكرة في نهاية القرن

الخامس الهجري، فقد حضر عند القاضي أب مع غلامه، يشكو إلى القاضي أن ابنه لا يسمع كلامه ولا يطيعه ولا ينفذ أمره، فيقول القاضي: إذا خالف الولد أمر والده فقد الوالد ولده، فقال الغلام غاضبًا: إنه أطاع والده ونفذ كل أوامره، وأنه علّمه أدب النفس، وأن الطمع معيبة وشدة الحرص وغلبته مفسدة، وعندما افتقر كلّفه الاحتيال والتسول .أما الشيخ فغضب على ابنه وطلب منه السكوت، ثمّ ندم على أنه كان قاسياً معه، وتحدث في فضل القناعة وزين كلامه بالأبيات الشعرية التي ختمها بذكر موسى والخضر في إشارة واضحة إلى جزءٍ يسير منقصة الخضر مع النبي موسى عليه السلام وقد اقتبس اقتباس واضحًا من القرآن الكريم لقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْل َقَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا) [الكهف:77]xii. ليعب به عن مقابلة الإحسان بالإساءة في هيئتها الأولى ثم يكون هناك أمر خفي يغير تلك الرؤي الأولية التي لا تلحظ من أول وهلة وهو ما يسبب نوعًا من الخطأ في الفهم.

وكذلك فعل فِيْ مَقَامَتِه الخامسة والعشرون الْمَقَامَة الكرجية:

للهِ من ألبَسَنـي فَروةً *** أضحتْ من الرِّعدَةِ لي جُنّهْ
ألبَسنِيها واقِياً مُـهـجَـتـي *** وُقّيَ شرَّ الإنْسِ والجِـنّـهْ
سيَكتَسي اليومَ ثَنـائي وفـي *** غدٍ سيُكسى سُندُسَ الجَنّـهْxiii

فيدعو هنا للبطل أن يقيه الله من شر الإنس والجن، ولا شك في وضوح النص القرآني في البيتين الثاني والثالث فقد اقتبس في البيت الثاني من قوله تعالى :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس (1) مَلِكِ النَّاس (2) إِلَهِ النَّاس (3) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاس (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس (5) مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاس (6)} xiv[الناس]. لكنه عكس النص فبدأ بالإنس قبل الجنة، واستخدم هاء السكت مراعاة للقافية والوزن، كما اقتبس في الشطر الأخير قوله: غدٍ سيُكسى سُندُسَ الجنة، من الآية القرآنية: {وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)}xv[الكهف:31]. في إشارة واضحة إلى المصير وهو الجنة.

ولا شك أن تنويع الكاتب في التعبير عن فكرته يوضح مدى ثقافته وعمقها، فهو هنا يربط بين الجانب الديني مع الجانب الشعري ليربط المتلقي بالواقع المعيش ذلك "إن

الربط بين التراث من ناحية والواقع المعيش من ناحية أخرى ضرورة يفرضها الوعي العصري؛ إذا الإنسان لا يستطيع أن يضع قدميه على أرض المعاصرة إلا إذا استوعب تراثه استيعابًا كافيًا، يمنحه القدرة على اكتشاف ذاته الجديدةxvi.

وكثيرًا ما يجمع الْحَرِيْرِي بين أكثر من آية قرآنية بصور مختلفة لا تخطئها العين ليدعم فكرته ويؤكدها بأكثر من صورة، ومثال ذلك ما فعله فِيْ مَقَامَتِه السادسة عشر المقامة المغربية :

قال الرّاوي: (وكنّا قدِ انتظَمْنا عِدّةَ أصابِعِ الكفّ. وتألّفْنا أُلفَةَ أصْحابِ الكهْفِ. فابْتَدَرَ لعِظَمِ محْنَتي. صاحبُ ميمَنَتي. وقال: لُمْ أخاً ملّ. وقال مُيامِنُهُ: كبّرْ رَجاءَ أجْرِ ربّكَ. وقال الذي يليهِ: منْ يَرُبّ إذا برّ ينْمُ. وقال الآخرُ: سكّتْ كلَّ منْ نمّ لك تكِسْ. وأفضَتِ النّوبَةُ إليّ. وقد تعيّنَ نظْمُ السّمْطِ السُباعيّ عليّ. فلمْ يزَلْ فِكري يصوغُ ويكْسِرُ. ويُثْري ويُعسِرُ. وفي ضِمْنِ ذلِك أستَطْعِمُ. فلا أجدُ منْ يُطعِمُ. إلى أن ركَدَ النّسيمُ. وحصْحَصَ التّسليمُ. فقلتُ لأصْحابي: لو حضَرَ السَّروجيّ هذا المَقامَ. لشَفى الدّاءَ العُقامَ. فقالوا: لو نزَلَتْ هذهِ بإياسٍ. لأمْسَكَ على ياسٍ. وجعلْنا نُفيضُ في استِصْعابِها. واستِغْلاقِ بابِها. وذلِك الزّوْرُ المُعتَري. يلحَظُنا لحْظَ المُزدَري. ويؤلّفُ الدُرَرَ ونحنُ لا ندْري. فلمّا عثَرَ على افتِضاحِنا. ونُضوبِ ضحْضاحِنا. قال: يا قومُ إنّ منَ العَناء العظيمِ. استيلادَ العَقيمِ. والاستِشْفاءَ بالسّقيمِ. وفوْقَ كلّ ذي عِلمٍ عليمٌ. ثمّ أقبَل عليّ وقال: سأنوبُ منابَكَ. وأكفيكَ ما نابَكَ. فإنْ شِئْتَ أن تنثُرَ. ولا تعثُرَ. فقُلْ مُخاطِباً لمَنْ ذمّ البُخْلَ. وأكثَرَ العذْلَ: لُذْ بكلّ مؤمّلٍ إذا لمّ وملّك بذَلَ) xvii.

وهنا يعبر عن صحبته ورفاقه الذين عددهم لم يتجاوز عدد أصابع الكف ولقد أخذ الاقتباس من سورة الكهف، في قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}xviii. [الكهف:9]، وقد ذكر ذلك صراحة في أول المقامة عندما شبه علاقتهم بعلاقة أصحاب الكهف وما فيها من دلالة إيمانية واضحة ثم ختم المقامة باقتباس آخر من القرآن الكريم من خلال الاستعانة بلفظة قرآنية واضحة هي {حصص} وهي مأخوذة من قوله تعالى {.. الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ...} [يوسف:51] لتمنح تلك اللفظة دلالة قوية على ثبوت الأمر، وتحقق اليقين، ثم تلا ذلك باقتباس واضح صريح في قوله

تعالى {...وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم} [يوسف:76] بصورة داخلة في النثر، وليست منفصلة عنه لتصبح داخل نسيج الكلام؛ ليسيطر النص القرآني بصورة كبيرة على المقامة، ويكون التوجه الديني معتمدا على سلطة القرآن الكريم. واللفظة القرآنية "تستمد تأثيرها وقوتها من سلطة عليا هي السلطة الإلهية، ومن ثم فإنها لا تكون محل شك أو دحض، وإنما يذعن لها المخاطب إذعانًا شديدًا، انطلاقًا من فكرة الاسترضاء الإلهي"xix. فالاقتباس القرآني الوارد في الْمَقَامَة يجعل الوصول للمعنى أسرع وأقوى.

المصادر والمراجع

الشيخ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، مقامات الحريري، مطبعة المعارف، بيروت، 1872م.

1. إبراهيم منصور محمد الياسين، استحياء التراث في الشعر الأندلسي، عالم الكتب الحديثة، اريد، الأردن، ط1 ،2000م،
2. ابن الأثير الكاتب (ت637ه) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت 1420 هـ.
3. سيزا قاسم: فصول ع2 عدد 3 خريف 1982.
4. د شاكر عبد الحميد: الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم 384.
5. د عبد الناصر هلال: الشعر العربي المعاصر، انشطار الذات وفتنة الذاكرة، مصر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2010م،
6. د عصام محمود: توظيف التراث الديني في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه، مجلة كلية اللغة العربية، الأزهر ع34، الإصدار الأول أبريل 2021م.

7. د عماد شعير: السلطة والإقناع وموت المخاطب، (دراسة في خطب الحجاج بن يوسف السياسية)، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، يوليو 2014م.

الهوامش

1. ثلم: ثَلَمَ الإناءَ والسيفَ ونحوَه يَثْلِمُهُ ثَلْماً وثلَّمه فانْثَلَم وتَثَلَّم: كَسَرَ حَرْفَه. يُقَالُ فِي الإناء ثَلْم إِذا انْكَسَرَ مِنْ شَفَتِه شَيْءٌ. لسان العرب مادة ثلم.
2. اخترم: من خرم: شق وقطع
3. زفن: الزَّفْنُ: الرَّقْصُ.
4. الشيخ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، مقامات الحريري، (المقامة الحادية عشر، المقامة الساوية)، مطبعة المعارف، بيروت، 1872م، ص 105- 106.
5. سورة التكاثر، الآية 4،3.
6. انظر تفسير القرطبي سورة التكاثر.
7. شاكر عبد الحميد: الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب ، ، سلسلة عالم المعرفة ، الكتاب رقم 384، ص:8.
8. سيزا قاسم: فصول ع2 عدد 3 خريف 1982، ص: 144
9. د عصام محمود: توظيف التراث الديني في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه، مجلة كلية اللغة العربية، الأزهر ع34، الإصدار الأول أبريل 2021م، ص:860.
10. الشيخ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، مقامات الحريري، (المقامة الأولى المقامة الصنعانية)، ص 21- 22.
11. د عماد شعير: السلطة والإقناع وموت المخاطب، (دراسة في خطب الحجاج بن يوسف السياسية)، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، يوليو 2014م، ص:15.
12. إبراهيم منصور محمد الياسين، استحياء التراث في الشعر الأندلسي، عالم الكتب الحديثة، اريد، الأردن، ط1 ،2000م، ص 17.
13. ابن الأثير الكاتب (ت637ه) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت 1420 ه، ج89/1.
14. سورة الأحزاب، الآية 37.
15. مقامات الحريري، (المقامة الثالثة عشر، المقامة البغدادية)، ص122،121.
16. سورة الحج، الآية 3.
17. سورة الحج، الآية 14.
18. ابن الأثير الكاتب (ت 637ه) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1 \126.

19. الشيخ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، كتاب مقامات الحريري في اللغة العربية والفنون الأدبية، ص287: 290.
20. سورة الكهف، الآية 77.
21. كتاب مقامات الحريري في اللغة العربية والفنون الأدبية، (المقامة الكرجية)، ص185.[1]
22. سورة الناس.
23. سورة الكهف، الآية:31.
24. د عبد الناصر هلال: الشعر العربي المعاصر، انشطار الذات وفتنة الذاكرة، مصر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2010م، ص: 30
25. كتاب مقامات الحريري في اللغة العربية والفنون الأدبية، ص111: 113.
26. سورة الكهف، الآية 9.
27. د عماد شعير: السلطة والإقناع وموت المخاطب، (دراسة في خطب الحجاج بن يوسف السياسية)، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، يوليو 2014م، ص:15.

---

[i] - د عصام محمود: توظيف التراث الديني في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه، مجلة كلية اللغة العربية، الأزهر ع34، الإصدار الأول أبريل 2021م، ص:860.

[ii]- الشيخ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، مقامات الحريري، (المقامة الأولى المقامة الصنعانية)، ص 21- 22.

[iii] - د عماد شعير: السلطة والإقناع وموت المخاطب، (دراسة في خطب الحجاج بن يوسف السياسية)، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، يوليو 2014م، ص:15.

[iv]-إبراهيم منصور محمد الياسين، استحياء التراث في الشعر الأندلسي، عالم الكتب الحديثة، اريد، الأردن، ط1 ،2000م، ص 17.

2- ابن الأثير الكاتب (ت637ه) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت 1420 ه، ج89/1.

[vi]-سورة الأحزاب، الآية 37.

[vii]مقامات الحريري، (المقامة الثالثة عشر، المقامة البغدادية)، ص122،121.

[viii] سورة الحج، الآية 3.

[ix] سورة الحج، الآية 14.

[x]-ابن الأثير الكاتب (ت 637ه) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1 \126.

[xi]-الشيخ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، كتاب مقامات الحريري في اللغة العربية والفنون الأدبية، ص287: 290.

[xii]- سورة الكهف، الآية 77.

كتاب مقامات الحريري في اللغة العربية والفنون الأدبية، (المقامة الكرجية)، ص185.[xiii]

[xiv]- سورة الناس.

[xv]-سورة الكهف، الآية:31.

[xvi] - د عبد الناصر هلال: الشعر العربي المعاصر، انشطار الذات وفتنة الذاكرة، مصر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2010م، ص: 30

[xvii]- كتاب مقامات الحريري في اللغة العربية والفنون الأدبية، ص111: 113.

[xviii]- سورة الكهف، الآية 9.

[xix] - د عماد شعير: السلطة والإقناع وموت المخاطب، (دراسة في خطب الحجاج بن يوسف السياسية)، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، يوليو 2014م، ص:15.